أركون و التأويل الأنثروبولوجي للخطاب الديني

د.فاطمة الزهراء بلحجي

كلية العلوم الإنسانية جامعة تلمسان

شكل القرآن الكريم محورا هاما، وهدفا أساسيا في الدراسات الغربية للقضايا الإسلامية فأحاطوه بالدراسة والبحث ونظروا إلى جزئياته وتفحصوا كلياته ولم يتركوا قضية من قضاياه إلا واهتموا بها بحثا ودراسة تقريبا كلها كانت غير منصفة، فإن أفكار الكثير منهم اتسمت بالتعصب والرغبة في خدمة الإستعمار، وتنصير المسلمين وتشويه عقيدتهم وقد اجتهد المتعصبون منهم أنفسهم في البحث عن المزاعم والتشبهات (فتلمسوا العديد من المراجع والمصادر لل قرآن الكريم للتشكيك في صحته ونفي قدسيته).[1]

لم يكن اهتمام الغرب بالقرآن الكريم وليد العصر الحديث وإنما تولدت إرهاصاته الأولى منذ أن حدث الصدام بين الإسلام والمسيحية في الشرق، لقد تولد هذا الإهتمام نتيجة ما حققه الإسلام في وقت قصير من انتصارات حيث استطاع أن يقلص من نفوذ المسيحية في منطقة واسعة من الكرة الأرضية ويجمع تحت رايته ثلثي سكان المعمورة من كل الأجناس والألوان خلال مدة لم تتجاوز القرن والنصف من الزمان وصهرها في بوتقة واحدة كانت نموذجا لأرقى عصور التاريخ حضارة وعلما وأخلاقا.[2]

إن هذه الطاقة الهائلة التي امتاز بها الإسلام، أذهلت أهل الكتاب الذين قعدت بهم دياناتهم عن تبوء تلك الصدارة على الرغم من القرون الطويلة التي سادت العالم فيها، ولهذا فقد أدرك هؤلاء خسارة المعركة فعمدوا إلى محاربة الإسلام، وقد اتخذوا هذا الصراع شكلين: أحدهما تدميري عسكري، وثانيهما

فكري عقائدي، يسعى للنيل من القرآن والرسول –ص– من خلال جدليات ودعاوى ومزاعم وشبهات أثيرت ضد الإسلام وأخطرها الجدليات التي استهدفت القرآن الكريم بغرض صرف الأنظار عنه.[3]

وليكن موقف الغربيين بعيدا عن موقف مشركي مكة إبان الدعوة المحمدية بل اتخذوا منه قاعدة صلبة لإثارة المزاعم والشكوك يقول الله تعالى فيهم: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن وألغوا فيه لعلكم تغلبون﴾[4]. لقد أدرك الغربيون أن القرآن يشكل الحبل المتين الذي يجمع المسلمين ويقوي عزيمتهم وسلاحهم القوي ضد أعدائهم فبحثوا فيه عن نقاط قوته وأسباب عظمته لإبطال فعاليته وذلك لمحاولاتهم للتقزيم من قيمته وإفراغه من مضمونه ونفي أصالته.

من بين المسلمين الذين يدعون عربيتهم وإسلامهم نجد محمد أركون الذي نهج نهج الغربيين وقال أن القرآن لم يأت به محمد لا من عند نفسه ولا من عند الله وإنما نقله عن ديانات الأمم الأخرى، اليهود والمسيحيين والفرس والروم ثم (خلط هذه المعلومات في نفسه وصاغها بأسلوبه ونمقها ببلاغته ثم نسبها إلى خالقه وادعى أنه وحي من عند الله)[5] إنّ المشروع الفلسفي عند أركون مثلا يقوم على ضرورة القطيعة الإبستيمية مع محددات الثقافة الإسلامية، ولأن تلك المحددات كانت وليدة مناهج فإن أركون لم يبذل جهدا في الإنتقاص منها ليصفها بأنها "تقليدية" محكومة بنظرة مدرسية فرضها الشافعي حين وضع في الرسالة "فكرة تأصيل الأحكام الشرعية في نصوص القرآن والحديث مع البحث عن العلة فعمت عملية التنزيه للأحكام والممارسات الإيديولوجية البشرية".

ولأن مبدأ الانتقاص عنده بلغ الغاية التي يريدها لها أن تقنع غيره فقد حرص أن يعرض المناهج الكفيلة بتحقيق العلمية والتي سيعتمدها حين قال: "إذا ما أردنا أن نؤسس علما تاريخيا جديدا للأديان فإنه ينبغي على هذا العلم أن يندمج في أحضانه ثلاثة أبعاد لا تنفصل للمعرفة، أقول ذلك على الرغم من أننا نراها متفتتة ومتقطعة أكثر فأكثر، وأقصد بهذه الأبعاد الثلاثة المشكلة للمعرفة البشرية البعد الأسطوري، والبعد

التاريخي، والبعد الفلسفي". إن المنهج عند محمد أركون يجب أن يكون علمانيا يستفيد من الأنثروبولوجيا واللسانيات والتأويلات، وكل معطيات العلوم الإنسانية الحديثة، بما يحقق له القدرة على التحكم في النصوص وإعادة تشكيلها وفق التاريخانية التي يراها لذلك فإنه اشترط[6] البعد الأسطوري معيارا ضروريا، إذ هو عنده بنية أساسية في الفكر البشري كما أنه يرى في الجدلية الفلسفية ضامنا من خطر الدوغماتية.

وحجة أركون على بطلان المنهجية الكلاسيكية للتفسير —في نظر عبد الرزاق قسوم– أنها تربط كل آية أو جملة آيات بسبب تاريخي أو واقعة حصلت في زمن النبي —ص– وآدت إلى نزول الآية، ويفضل أركون هذا المنهج التفكيكي لأسباب النزول بحكم تعسفي خطير يعلن فيه أن عملية الربط هذه للآية بأسباب النزول تبقى أسطورية أكثر منها تاريخية. فالمنهج عند أركون هو وسيلة تخدم المصادر على المطلوب وليس إجراء للكشف عن الحقيقة المتعالية، يضطر إلى مجابهة المناهج البيانية والعقلية الداعية إلى افتراض القرائن لتحقيق الاستنباط، ومن ثم يستنتج إلغاء التفاسير السابقة بدعوى عدم علميتها ما دامت تجعل أسباب النزول تاريخية في حين يؤكد هو أنها أسطورية.

فيخلص —قسوم– من هذا أن الإجراء المنهجي عند أركون يتركب من مجموعة معطيات أولها أن المناهج الكلاسيكية قاصرة لأنها تجع النص متعاليا ومناهج المستشرقين الفلولوجية عاجزة عن إدراك البنية المعرفية للنص الإسلامي لأنها تغفل عن مستجدات علم الإنسان والمجتمع، وثانيها أن المنهج التفكيكي المستند إلى معطيات الأنتروبولوجيا واللسانيات هو الكفيل بتحفيز العقل الفلسفي النقدي[7] وثالثها وقوع أركون في التعسف المنهجي بحافز الخصوصية المعرفية للإسلام ويحاول أن يفرض عليها ملمات المناهج الغربية الحديثة واختيار أركون المنهج الإلحادي الذي يصدم معتقدات المؤمنين ومنطق العاقلين.

إن اعتماد العقلانية كان اختيارا منهجيا لأركون في نقده لما يسميه التراثيات الإسلامية، وأن العقلانية نفسها كانت الذريعة المنهجية التي تبناها قسوم في إعادة القراءة النقدية لمشروع أركون.

تقوم الدراسات عند محمد أركون على انتقاد الأسس المعرفية للدراسات الإسلامية (معتبرا إياها خاضعة للثابت ومرسخة للسيادة) التركيز على تعدد التراثيات داخل الثقافة ا\الإسلامية (معتبرا إياها خاضعة للتغير) اعتبار نصوص الوحي ظاهرة لغوية قابلة لإعادة التفكيك والتأويل، والتأكيد على ضرورة استرفاد مناهج علوم اللسان والإنسان وإلباسه الكلمات العربية الطابع الكاتولكي وإلباسه الفكر الإسلامي قبعة الفلاسفة العلمانيين، في حين أن المراجعة عند قسوم تقوم على إبراز الخصوصية الثقافية للمنهج والمصطلح، وخطورة إسقاط المفاهيم، وفساد مقتضيات العقلانية عند أركون لوقوعه في المصادرات والتعسف المنهجي[8]. وما نتحفظ عليه في هذا السياق أن يكون الفكر الإنساني مرجعية أساسية في موضوعات دينية بحتة يمكن للمرجعية القرآنية تغطيتها بمستوى البديل أو المساوي، كما يلحظ في العديد من المحاولات الثقافية المعاصرة في مقدمتها محاولات الدكتور أركون.

إن أركون يوظف غفي دراسته للقرآن غير أداة منهجية بدءا من المنهج اللغوي والسيميائي وانتهاء بالمنهج الأركيولوجي مرورا بالتحليل السوسيولوجي والنقد التاريخي ولا شك أن مثل هذه المنهجية المتعددة الاختصاصات التي يستخدمها أركون لها قيمة إجرائية عالية أي هي ذات فعالية قصوى على الشرح والتفسير، فلا مجال للحصر في عصر تتداخل فيه العلوم وتنفتح الميادين المعرفية بعضها على بعض خاصة والعالم يشهد اليوم ميدان معرفي موضوعه الخطابات والنصوص ذاته، سماه الغربيون "نظام الخطاب" أو "نظيرة النص" وسماه بعض العرب "علم النص" وهذا الميدان الجديد الذي افتتحه فوكو[9] وأطلق عليه إسم "أركيولوجيا" والذي يمكن تسميته "حضريات"، هو حصيلة المعارف الحديثة في مختلف ميادين العلم وقراءة حضرية في الممارسات الخطابية، بدءا من الخطاب اللغوي، وانتهاء بالخطاب الفلسفي، وإذا كان القرآن "نصا لغويا" ولا ينبغي قراءته قراءة وحيدة الجانب خشية اختزاله له بل يمكن قراءته باستخدام مختلف الوسائل المنهجية وبالإنفتاح على كل الكشوفات المعرفية المتاحة —كل هذا في نظر– محمد أركون– وسنأخذ أنموذجا للدعاية الأركونية:

علق هاشم صالح[10] في كتاب "الفكر الإسلامي نقد واجتهاد": بعد أن تركت محمد أركون رحت أفكر في حجم المعركة التي يخوضها بكل ملابساتها وتفاعلاتها، وهالني الأمر فكلما توهمت أن حدودها معقدة، شبه لا نهائية، هناك شيء واحد مؤكد على أي حال: هو أن محمد أركون يخوض المعركة على جبهتين، جبهة الداخل، وجبهة الخارج، جبهة أصولي المسلمين وجبهة أصولي المستشرقين"[11].

يجري المترجم حوارا حول أفكار أركون بعد كل فصل أو في آخر الكتاب كما فعل في كتابه "الفكر الإسلامي قراءة علمية". كما علق على جل ما قال في كتبه، ويشيد إليه بكثير من التحفظ إلى آرائه في القرآن والسنة والشيعة والحداثة والتجديد وغير ذلك ولكن الكتاب الآخرين احتاروا في أية خانة يصنفون محمد أركون أهو مع الفكر الإسلامي أم ضده؟ وهل هو يدعو إلى تفعيل الفكر الإسلامي إلى أن نسفه من أساسه؟ ثم هل هو عربي وإسلامي الهوية أم لا يختلف عن المستشرقين الذين تعاملوا مع الفكر الإسلامي لكي ينالوا منه؟ وهل ولاؤه للعالم العربي والإسلامي أم للغرب؟

أول وسائله لنسف التراث الإسلامي هو نقده للكتاب الإسلاميين الذين ليست لهم صلة بالمدارس الغربية في الفكر ثم هو يستخدم نظريات ميشال فوكو في مسائل المعرفة والسلطة.

يوهمنا محمد أركون في كثير من كتبه في رده على مفردات الفكر الإسلامي لا ينقد مصادر التشريع، بل يعمل على تصحيح الفهم الإسلامي. فأركون ينتقد كثيرا مرتكزات التشريع الإسلامي المتعارف عليها فهو يدعو إلى تجديد الفكر العربي والإسلامي.

ليس للإسلام في نظر أركون أي قانون ولا علاقة له بالوجود، ويرى أن العلماء المجتهدين فرضوا مجموعة من الشروط والمقاييس لا يصح الاجتهاد بدونها فيقول في كتابه[12]: نقصد بذلك مؤسسي المذاهب الكبرى اللاهوتية القانونية الذين ثبتوا للقرون التالية المدونات القانونية والعقائد الإيمانية الأرثوذكسية وعلم

أصول الفقه أي المعيارية الضرورية من أجل استنباط الأحكام بشكل صحيح من النصوص المقدسة القرآن والسنة وهكذا نجد أمامنا في بضع كلمات فقط كل شروط ومحدودية ممارسة الاجتهاد في الفكر الإسلامي الكلاسيكي". ويتهم أركون محمد عبده بأن مفهومه لفتح باب الاجتهاد هو عبارة عن شرعنة البدعة التي كانت فيما مضى غير محسوبة على التراث الإسلامي.

ويتعامل مع التراث الإسلامي بآخر ما توصلت إليه المدرسة الغربية النقدية من نظريات ووسائل للتعامل مع النص ويسقط هذه الأدوات في التعامل مع النص الإسلامي الذي هو مختلف جغرافيا ولغويا ونفسيا عن البيئة الغربية، إذ يقول في كتابه "من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي" إن المصدر الأساس للفقه وبالتالي القضاء ليس هو القرآن بقدر ما هو التفسير ونقصد بذلك أن الفقهاء قد قرأوا القرآن وفسروه بطريقة معينة واتخذوا عندئذ قراراتهم، وقد استخدموا في تفسيرهم المعارف اللغوية والأخبارية السائدة في عصرهم وكل هذه الأدبيات تتطلب اليوم مراجعة وإعادة قراءة على ضوء التاريخ النقدي الحديث".

إن أركون يسقط على التراث الإسلامي المنهج النقدي الاجتماعي الحديث، لقد اختار المنهج الغربي فهو كثيرا ما ينقل آراء جورج غرفيتش وجوزيف شافت وماكس فيبر وغيرهم، وهؤلاء تعاملوا مع التراث الإسلامي كما تعاملوا مع الحركات الدينية في الغرب، كالحركة الأرثدوكسية وغيرها، وفي ذلك تداخل وجمع بين أفكار وبيئات متناقضة ويرى أركون أن المستشرقين المتخصصين بفقه اللغة أكدوا أن كلمة "قرآن" ذات أصل سرياني أو عبري، ففي نظره لا يوجد شيء خارج النص الاستشراقي وهو لا يخفي رغبته بأنسنة النص وإحالته إلى التاريخ، وينظر إلى النص على أنه من إنتاج محمد (ص) حسب كلامه فإنه يريد "أرخنة الخطاب القرآني ذاته"، ويعتبر أركون أن النصوص القرآنية متناقضة وبالتالي لا تصلح أن تكون مصدرا للتشريع الإسلامي، فيقول في كتابه: (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)، وأما المعنى الثالث لكلمة النسخ والذي يعني استبدال نص بنص أو نص لاحق بنص سابق، فهو ناتج عن مناقشة الأصوليين أي علماء الأصول الذين وجدوا أنفسهم في مواجهة نصوص متناقضة، وبالتالي فقد

اضطروا لاختيار النص الذي يتناسب أكثر مع التوفيق وتحقيق الإنسجام بين الأحكام الشرعية التي كانت قد حظيت بإجماع الفقهاء الأوائل". ما يهدف له أركون في كتاباته المكررة هو نزع الثقة من القرآن الكريم وقداسته، واعتباره نصا أسطوريا قابلا للدراسة والأخذ والرد. ويقول: "إن المعطيات الخارقة للطبيعة والحكايات الأسطورية القرآنية سوف تتلقى بصفتها تعابير أدبية، أي تعابير محورية عن مطامح ورؤى وعواطف حقيقية يمكن فقط للتحليل التاريخي السيولوجي والبسيكولوجي اللغوي أن يعيها ويكشفها"[12].

فهو يرى أن القرآن عمل أدبي لم يدرس كما يجب إلا من قبل ندرة أهمهم عنده "محمد أحمد خلف الله" عندما كتب عن القصص الفني في القرآن وقال إن القصة القرآنية مفتعلة، ويتحسر على عدم استمرار "خلف الله" ويذكر أن الأسباب التي لم تمكن "خلف الله" في عمله أنه راعى الموقف الإسلامي الإيماني أولا وثانيا لنقص المعلومات وهو يغالط كثيرا في معنى كلمة "أسطورة" ويقول: إنه يعاني من صعوبة هذه الكلمة على إسماع العرب الذين يربطون بين هذه الكلمة وبين الأكذوبة أو الخرافة. وقول: بأن القرآن لم يصلنا بسند مقطوع الصحة، لأن القرآن —كما يقول– لم يكتب كله في حياة الرسول —ص– بل كتب بعض الآيات ثم استكمل العمل في كتابه القرآن فيما بعد.[13] يعاني أركون في عرضه للأقوال من عدم التوثيق أو القول الصحيح كما ينقل، إذ يقلب كل قضية حتى يفسد المعنى ويلويه إلى ما يريد كما في مسألة كتابة القرآن، وهذه قضية الجمع وقضية الكتابة ويزعم أن الظروف السياسية هي التي جعلت المسلمين يحافظون فقط على قرآن واحد ويتركون ما عداه. ومثال آخر يعرف الوحي بقوله: "إنه يدعى بالتنزيل أي الهبوط من فوق إلى تحت"[14] ومن أجل أن يمهد لما يريد من إنكار القرآن سندا في أول الأمر يدخل بعد ذلك إلى نصوص القرآن فيشكك في القصص والأخبار ويرى أن التاريخ الواقعي المحسوس هو الذي يحاكم إليه القرآن، فالأخبار والآثار التاريخية هي الموثوقة، فيقول: "إن القرآن —كما الأناجيل– ليس إلا مجازات عالية تتكلم عن الوضع البشري، إن هذه المجازات لا يمكن أن تكون قانونا واضحا، أما الوهم الكبير فهو اعتقاد الناس بإمكانية تحويل هذه التعابير المجازية إلى قانون فعال ومبادئ محدودة تطبق على كل الحالات وفي كل

الظروف"[15]. فلا يرى أركون أن آيات الأحكام هي المجاز، ولا آيات الصفات كما قال بعض السابقين، بل القرآن كله مجازات عالية أي تكون بعيدة عن المجتمع سياسة واقتصادا واجتماعا، إنما تهذيب روحي لا علاقة له بالدنيا. ويفصل بين القرآن والشريعة، فالقرآن عنده: "خطاب مجازي يغذي التأمل والخيال والفكر والعمل ويغذي الرغبة في التصعيد والتجاوز والمجتمعات البشرية لا تستطيع العيش طيلة حياتها على لغة المجاز، ولكن هناك البشر المحسوسون العائشون —كما يقول– في مجتمع وهناك أمورهم الحياتية المختلفة التي تتطلب نوعا من التنظيم والضبط وهكذا تم إنجاز الشريعة. ثم يعقب بأن هناك مجالا أسطوريا مجازيا وهو مجال القرآن ومجال آخر واقعي للناس هم مجال الشريعة فيقول: "إنه وهم كبير أنة يتوقع الناس علاقة ما بين القرآن والشريعة التي هي القوانين الشرعية وأن المناخ الميثي (الأسطوري) الذي سيطر على الأجيال السابقة هو الذي أتاح تشييد ذلك الوهم الكبير، أي إمكانية المرور من إرادة الله المعبر عنها في الكتابات المقدسة إلى القوانين الفقهية (الشريعة)[16].

يريد أركون وغيره من دعاة التغريب أن يقوضوا دعائم وجود الأمة فيبدأون بتغيير مفردات تراثها العظيم، وتراهم يلجأون إلى أساليب ملتوية لترويج أفكارهم الضبابية زاللبس والغموض في التعبير، فالدغماتية والغنوصية والإبستيموقلوجية، والإمبريقية والأنسنة والإسلاماوية والسلفوية والزمكانية والمكانزماتية والهرمنيوطيقية، وألفاظ كثيرة غيرها كلها من تعابيرهم ومصطلحاتهم في طريق التغريب، بقصد إيهامه بتخلف وعيه وبعدم قدرته على استيعاب ما يكتبون.

والمؤيدون لأفكارهم تجدهم أنفسهم يعترفون لعدم فهم ما يكتبون كما نجد ذلك عند مترجم كتب أركون، هاشم صالح الذي يعترف في مقدمته لكتاب "أين هو الفكر الإسلامي المعاصر": بأنه لم يستطع فهم هذه المصطلحات إلا بعد **10** سنوات وبعضها بعد **3** سنوات من الدراسة في المعاهد الفرنسية حتى استطاع أن يتصور معناها كما أراد مستعملوها.

وقال أحد القراء لقد رأيت كتب أركون ولفت انتباهي الدعاية الكبيرة لها، فذهبت مع القوم واشتريت منها وقرأت الأول والثاني فما أحسست بفائدة ولا ساعدني الفهم، وقلت كاتب متعب ولكن زادت الدعاية للرجل فقلت في نفسي النقص في قدرتي على الدراسة والفهم، وسكت وخشيت أن أقول لأحد: لا أفهمه، حتى إذا كانت ذات يوم جلست إلى قارئ وكاتب وتناولت كتاب "تاريخية الفكر العربي الإسلامي" وقال حاولت أن أفهم هذا الكتاب أركون فما استطعت، فكأنما أفرج عني من سجن وقلت: رحمك الله أين أنت كنت أبحث عن قارئ له يعطيني فيه رأيا، لا الذين أكثروا من الدعاية له دون دراية.

فشل أركون في المهمة الأساسية التي نذر نفسه لها "كوسيط بين الفكر الإسلامي والفكر الأوروبي" ويعترف أن الغرب لم يرض عنه رغم ما قدم لهم وتآمر معهم على دينه وبني قومه، بل عجز حتى عن تغيير نظرة الغربيين غليه هو نفسه كمثقف مسام يقول: "على الرغم من أني أحد الباحثين المسلمين المعتنقين للمنهج العلمي والنقد الراديكالي للظاهرة الدينية إلا أنهم –أي الفرنسيين– يستمرون في النظر إليّ وكأني مسلم تقليدي، فالمسلم في نظرهم – أي مسلم– شخص مرفوض ومرمي في دائرة عقائده الغريبة ودينه الخالص وجهاده المقدس وقمعه للمرأة وجهله بحقوق الإنسان وقيم الديمقراطية ومعارضته الأزلية والجوهرية للعلمنة، هذا هو المسلم ولا يمكنه أن يكون إلا هكذا، والمثقف الموصوف بالمسلم يشار إليه دائما بضمير الغائب، فهو الأجنبي المزعج الذي لا يمكن تمثله أو هضمه في المجتمعات الأوروبية لأنه يستعصي على كل تحديث أو حداثة[17].

ولا يكتم أركون أن تلك الهجمات العنيفة د أشعرته كما يقول: (بالنبذ والاستبعاد إن لم أقل بالاضطهاد وعشت لمدة أشهر طويلة بعد تلك الحادثة حالة المنبوذ، وهي تشبه الحالة التي يعيشها اليهود أو المسيحيين في أرض الإسلام عندما تطبق عليهم مكانة الذمي أو المحمي)[18].

ويقول أيضا: (إن مقالة لوموند كلفتني غاليا بعد نشرها وانهالت علي أعنف الهجمات بسببها، ولم يفهمني الفرنسيون أبدا، أو قل الكثيرون منهم، ومن بينهم بعض زملائي المستعربين على الرغم من أنهم يعرفون جيدا كتابي ومواقفي، لقد أساءوا فهمي ونظروا إلي شررا، ونهضوا جميعا ضد هذا المسلم الأصولي الذي يسمح لنفسه بأن يعلن أنه أستاذ في السوربون، ويا للفضيحة، لقد تجاوزت حدودي أو حدود المسموح به بالنسبة لأتباع الدين العلمانوي المتطرف الذي يدعونه بالعلماني، ولكني لا أراه كذلك، وفي الوقت الذي دعوا إلى نبذي وعدم التسامح معي بأي شكل، راحوا يدعون للتسامح مع سلمان رشدي، وهذا موقف نفساني شبه مرضي أو رد فعل عنيف تقفه الثقافة الفرنسية في كل مرة تجد نفسها في مواجهة أحد الأصوات المنحرفة لبعض أبناء مستعمراتها السابقة، إنها لا تحتمله، بل وتتهمه بالعقوق ونكران الجميل، فنلاحظ أن اكتساب الأجنبي للجنسية الفرنسية في فرنسا الجمهورية والعلمانية يلقى على كاهل المتجنس الجديد بواجبات ومسؤوليات ثقيلة، فالفرنسي ذو الأصل الأجنبي مطالب دائما بتقديم أمارات الولاء والطاعة والعرفان بالجميل، باختصار فإنه مشبوه باستمرار، وبخاصة إذا كان من أصل مسلم.)[19]

إن اعتماد القراءة الأنتروبولوجية أوهم باحثا مثل أركون أن القصص القرآني يدخل ضمن دائرة العقائد الخرافية في الأدب الشعبي، وعلى الرغم من ادعائه العلمية إلا أنه لقي معارضة عند القارئ المسلم.

تبين أن القراءة الأنتروبولوجية مهما تنوعت (إستشراقية/ أسطورية/ لسانية/ تأويلية) هي مظاهر للتعسف المنهجي الخطير، هي تبدأ علمانية تقصي المرسل، ولكنها لا تقصي المرسل إليه، بمعنى أنهم يفترضون الخطاب القرآني نصا (مثل غيره) وكلاما منتجا، ولكت لتأويله يعمدون إلى تاريخية النزول فيؤولون كيف يشاؤون.

يتبيّن من هذه الدراسة استعلاء الخطاب القرآني عن محاولات تحريفه مهما ادعى الأنتروبولوجيون علميتهم.

الهوامش:

1- الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين دار الفكر المعاصر، شوقي أبو خليل، بيروت ط1 1995، ص10.

2- المستشرقون والقرآن، إسماعيل سالم عبد العالم، سلسلة دعوة الحق 104، رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة 1990، ص25.

3-التبشير والإستعمار في البلاد الإسلامية: عمر فروخ، مصطفى الخالدي، المكتبة المصرية بيروت 1986، ص46.

4- فصلت / 26.

5-شبهات حول القرآن وتفنيدها، غازي عناية، ، دار مكتبة الهلال، بيروت ط1996، ص21.

6- مجلة اللسان الحر: العدد 2 السنة الأولى 2008 تصدر عن الأكاديمية الأوروبية العربية للثقافة والإعلام: محمد أركون وسيط ثقافي مقال د. عبد الحفيظ بورديم، ص12.

7- مجلة سابقة.

8- أركون وقسوم: تلقي النص من منطلق النقض، عبد الحفيظ بورديم، مجلة اللسان الحر: الأكادمية الأوروبية العربية للثقافة والإعلام العدد 2 السنة 1429هـ/2008م، ص: 28.

9-ميشال فوكو قرسي انتقل إلى ألمانيا ثم بولونيا –توفي عام 1985 وعمره 78 سنة.

10- سوري وتلميذ أركون ومترجم كتبه إلى العربية.

11- الفكر الإسلامي فكر واجتهاد: محمد أركون، ص: 335.

12- من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، ص: 11.

13- الفكر الإسلامي قراءة علمية: محمد أركون، ص: 191.

14- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد: مرجع سابق ص: 85-86.

15- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد: مرجع سابق، ص: 79.

16- تاريخية الفكر الإسلامي: محمد أركون، ص: 299.

17- تاريخية الفكر الإسلامي: محمد أركون، ص: 299.

18- الإسلام –أوربا- الغرب، ص: 45.

19- الإسلام- أوربا- الغرب، ص: 105.

20- الإسلام- أوربا- الغرب، ص: 105.